

﴿وَأَنَّهُ لَتَذَكُّرُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ
﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَأَنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ
بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحاقة 48 - 52]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَذَكَرَ الْأَدْلَةَ عَلَى اسْتِحَالَةِ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ افْتِرَاءً وَنَسَبَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَذِبًا؛ أَعَقَبَهُ بِمَا يُتِمُّ الْمَعْنَى وَيُكْمِلُهُ، وَيُؤَكِّدُ الْغَرَضَ، فَلَمْ يَقْتَصِرِ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ عَلَى بَيَانِ مَصْدَرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، بَلْ بَيَّنَّ أَثَرَهُ وَثَمَرَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنَّهُ لَتَذَكُّرُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿لَحَسْرَةٌ﴾: (حسر) أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ دَالٌّ عَلَى كَشْفِ الشَّيْءِ، يُقَالُ: حَسَرْتُ عَنْ الذَّرَاعِ، أَي: كَشَفْتُهُ، وَالْحَاسِرُ: الَّذِي لَا دِرْعَ عَلَيْهِ، وَلَا مِعْفَرَ^(١)، وَمِنْ الْبَابِ: الْحَسْرَةُ، وَهِيَ التَّلَهُّفُ عَلَى الشَّيْءِ الْفَائِتِ، وَهِيَ أَشَدُّ حَالَاتِ النَّدَمِ حَتَّى يَبْقَى النَّادِمُ كَالْحَسِيرِ مِنَ الدُّوَابِّ الَّذِي لَا مَنَفْعَةَ فِيهِ^(٢)، يُقَالُ: بَعِيرٌ حَسِيرٌ؛ إِذَا اتَّعَبَهُ السَّيْرُ، فَلَمْ تَبْقَ لَهُ قُوَّةٌ^(٣)، وَالْمَرَادُ بِالْحَسْرَةِ فِي الْآيَةِ: شِدَّةُ النَّدَمِ مَشُوبًا بِتَلَهُّفٍ عَلَى نَفْعِ فَائِتٍ^(٤)، وَالْمَرَادُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ حَسْرَةٌ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَأَسَّفُونَ إِذَا رَأَوْا ثَوَابَ الْمُؤْمِنِينَ^(٥).

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ تَذَكُّرٌ يَنْتَفِعُ بِهَا الْمُتَّقُونَ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَنْ يَكْذِبُ بِهَا، وَسَيَكُونُ تَكْذِيبُهُمْ حَسْرَةً وَنَقْمَةً عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِيهِ، فَلْيَسْبِّحْ الْمُؤْمِنُ رَبَّهُ الْعَظِيمَ تَنْزِيهًا لَهُ، وَتَعْظِيمًا لِكَلَامِهِ وَوَحْيِهِ^(٦).

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حسر).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (حسر).

(3) ابن منظور، لسان العرب: (حسر).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/23.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (حسر)، والواحدي، البسيط: 481/3، وابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 2/408.

(6) نخبة من علماء التفسير، التفسير اليسر، ص: 568.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

موقع جملة: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ عطف على ما قبله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، والضَّمير في الموضعين يعود إلى القرآن الكريم، وهذا العطف البلاغي يحمل فائدة عظيمة؛ إذ يجمع بين التعريف بالقرآن من جهة مصدره وطريق تبليغه في قوله: ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، ومن جهة أثره ووجه الانتفاع به في قوله: ﴿لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾، فيكون هذا العطف جامعاً للمعاني المتكاملة⁽¹⁾.

دلالة التوكيد بـ (إِنَّ) واللام:

أكدت الجملة في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ بـ (إِنَّ) و(اللام)؛ للمبالغة في إثبات المنزلة العليا للقرآن الكريم وعظيم أثره النافع.

سر تنكير لفظ (تذكرة):

نُكِرَ لفظُ (تذكرة) في قول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾؛ تعظيماً وتفخيماً لشأن التذكرة، فالقرآن الكريم تذكرة عظمى؛ لجمعه كل خير ونور وهداية.

بلاغة التعبير بالمصدر في قوله: ﴿لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

أُخْبِرَ عن القرآن الكريم بالمصدر (تذكرة)، في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾، فلم يرد في البيان القرآني: (يذكر المتقين) أو (مذكر للمتقين)؛ تنبيهاً على المبالغة في الوصف، وكأنَّ القرآن الكريم نفسه هو التذكير بعينه، لا مجرد آله له، وهو من أساليب البلاغة التي تعمق المعنى وتكثف الأثر، فالتعبير بالمصدر يرسخ كون القرآن الكريم مذكراً بذاته، فمعنى كونه تذكرة: أنه يُذكر العباد بما فُطروا عليه، ويوقظ الغافلين من سباتهم، ويبين لهم ما يليق

بلاغة العطف
وتأكيد المعنى
بما يعمُّ التبليغ
والهداية

القرآن الكريم
تذكرة دائمة، لا
ينقطع أثرها إلا
بإغراض القلوب
عنها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 148.

بجلالِ الرَّبِّ وعظيمِ أَمْرِه، فَهَمَّا كانت حَالُ الْمُتَلَقِّي؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ يَبْقَى تَذْكِرَةً فِي ذَاتِهِ، يَنْتَفِعُ بِهَا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَذَكَّرَ، وَيُعْرِضُ عَنْهَا مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْغَفْلَةُ⁽¹⁾.

دلالة عموم الزّمن في لفظ (تذكرة):

وُصِفَ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ تَذْكِرَةٌ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾، أَي: أَنَّهُ مُصَدَّرُ تَذْكِيرٍ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّ تَذْكِيرَهُ غَيْرُ مُقَيَّدٍ بِزَمَنٍ، بِخِلَافِ مَا لَوْ عُبِّرَ بِالْفِعْلِ؛ إِذِ الْفِعْلُ يُشْعِرُ بِزَمَنِ وَقْعِهِ، بِخِلَافِ الْمَصْدَرِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَى اخْتِصَاصٍ بِزَمَنٍ، وَلِذَلِكَ يَسَعُ الْأَزْمَنَةُ الثَّلَاثَةُ: الْمَاضِي، وَالْحَاضِرَ، وَالْمُسْتَقْبَلُ.

هداية القرآن
الكريم لا
تنقطع؛ فمن
اتقى الله تعالى
وجده مذكراً له
في كل زمانٍ

فَهُوَ تَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ فِي كُلِّ عَصَرٍ، مَنْ آمَنَ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَمَنْ تَأَمَّلَهُ لَاحِقًا، وَمَنْ سَيَّهَتَدِي بِهِ بَعْدَ حِينٍ، فَكُلُّ مَنْ اتَّقَى، وَاسْتَعَدَّ لَاسْتِقْبَالَ الْمَوْعِظَةِ؛ يَجِدُ فِيهِ ذِكْرًا تَهْدِيهِ، وَتَنْبِيهًا يَوْقِظُهُ⁽²⁾.

أنر القرآن
الكريم ممتد في
كل حينٍ

دلالة اللّام في ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾:

اللّامُ فِي ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ حَرْفُ جَرٍّ دَالٌّ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ، فَهُوَ يُفِيدُ اخْتِصَاصَ كِمَالِ التَّذْكِيرِ بِأَهْلِ التَّقْوَى دُونَ غَيْرِهِمْ.

صاخر القلب
بالتقوى شرط
لانتفاعه بتذكرة
القرآن الكريم

دلالة قيد نفع القرآن بالمتقين في قوله: ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾:

فُقِدَ نَفْعُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِطَائِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ، وَهُمْ الْمُتَّقُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾، لَا لِأَنَّ التَّذْكِيرَ لَا يَتَوَجَّهُ إِلَى غَيْرِهِمْ، بَلْ لِأَنَّهُمْ وَحْدَهُمُ الَّذِينَ أَدْرَكُوا مَنْزِلَتَهُ، وَتَأَهَّلُوا لِلانْتِفَاعِ بِهِ، فَالْتَّقَوَى تَجْعَلُ الْقَلْبَ مُوْطِنًا عَلَى التَّلَقِّيِ وَالْحَشْيَةِ وَالِاسْتِجَابَةِ، فَالتَّذْكِرَةُ لَا تَقَعُ مَوْقِعَهَا فِي الْقَلْبِ إِلَّا إِذَا كَانَ الْقَلْبُ حَيًّا بِالتَّقْوَى، وَإِلَّا فَهِيَ لَا تَتَجَاوَزُ الْأَذَانَ، وَهَذَا مِنْ سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 148.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 149.

في كتابه: أَنَّ الهداية لا تكون إِلَّا لمن يستعدُّ لها، كما قال تعالى:
﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 2) (1).

دلالة (أل) في (المتقين):

(أل) في (المتقين) من قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَتَذَكُّرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾
دالة على العموم والاستغراق، فالقرآن الكريم تذكرة وعظة لكل من
اتَّصفَ بصفة التَّقوى.

انتفاعُ عموم
أهلِ التَّقوى
بالقرآنِ الكريمِ

ويجوزُ أن تكون (أل) للكمال، أي: أن كمال التذكير بالقرآن
الكريم إنما يكون لمن كملت تقواه، وبحسب نقص التَّقوى يكون
نقص التذكير.

موقع جملة: ﴿وَأَنَا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ في النظم:

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ (١٩) وَأَنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى
الْكَافِرِينَ جملتان مترابطتان، جاءت الأولى تمهيداً للثانية وتوطئةً
لها، وفيها التفاتٌ إلى حالِ المُكذِّبين؛ تنبيهاً وتحذيراً، وبياناً أن
الله تعالى لا يخفى عليه عنادُهم، ولا يردُّ علمه عن إقامة الحجة
عليهم، والجملة الثانية: ﴿وَأَنَّهُ لَحَسْرَةٌ﴾ معطوفة على ما قبلها
من وصف القرآن بأنه تذكرة ﴿وَأَنَّهُ لَتَذَكُّرٌ﴾، فجمعت الآية بين
وصفٍ نافعٍ للمتقين، ووصفٍ ضارٍّ بالكافرين، بطريق التَّضادِّ الذي
يُبْرِزُ المعنى بقوة، ويزيد تأثيره، فبينَ الجُمْلَتَيْنِ المتعاطِفَتَيْنِ محسَّن
الطَّباق بين ﴿لَتَذَكُّرٌ﴾ و﴿لَحَسْرَةٌ﴾، وعليه فإنَّ جملة: ﴿وَأَنَا لَنَعْلَمُ﴾
معتضةٌ بينَ ما قَبْلَها وما بَعْدَها.

بيانُ عاقبةِ
المتقين والمُكذِّبين
بزيادةِ التَّذكرةِ أثرًا

دلالة إيراد الجملة المعتضة بين المتعاطفتين:

جملة: ﴿وَأَنَا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ معتضةٌ بينَ المعطوفَيْنِ:
﴿وَأَنَّهُ لَتَذَكُّرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾،

العنايةُ بتنبيهِ
المُكذِّبين إلى
حالهم الشَّنيعةِ

(1) البياضوي، أنوار التنزيل: 5/ 243، وأبو السعود، إرشاد العقل: 9/ 28، وابن عاشور، التحرير
والتنوير: 149/ 29.

وتقديم جملة الاعتراض على ما بعدها اهتمام بتنبيه المكذبين إلى حالهم، وكانت أيضًا بمنزلة التثمين لما قبلها - ﴿وَأَنَّهُ لَتَذَكُّرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ - والمعنى: إنا بعثنا إليكم الرسول بهذا القرآن الكريم، ونحن نعلم أنه سيكون منكم مكذبون له وبه، وعلمنا بذلك لم يصرفنا عن توجيه التذكير إليكم وإعادته عليكم؛ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: 42⁽¹⁾].

بلاغة التوكيد في قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُم مُّكَذِّبِينَ﴾:

تتابعت المؤكدات في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُم مُّكَذِّبِينَ﴾، فقد أكدت الجملة ب (إِنَّ) واللام، و(أَنَّ)، واسميّة الجملة؛ وذلك لتأكيد سعة العلم الإلهي وإحاطته.

الكناية في قوله: ﴿لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُم مُّكَذِّبِينَ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ خبر صريح بإحاطة علم الله تعالى بما في نفوسهم من التكذيب والجحود، وهو علم مقترن بالعدل في المحاسبة والعقاب، وليس علمًا يترتب عليه إهمال أو إهمال بلا جزاء، فالكلام كناية عن تهديد ووعد؛ لأنَّ علم الله تعالى بالتكذيب يستتبع بالضرورة المجازاة عليه، فالجملة في ظاهرها خبر، لكنها تحمل بين طياتها وعيدًا وإنذارًا شديدًا، وتذكيرًا بأن هذا التكذيب لم يكن غائبًا عن علم الله تعالى، بل هو محفوظ ومؤجل إلى يوم الجزاء⁽²⁾.

معنى (من) ودلائلها في ﴿لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُم مُّكَذِّبِينَ﴾:

(من) في قول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ حرف جر دال على التبعية، وهو مفيد أن صفة التكذيب لا تعم المخاطبين جميعًا.

التصريح
بالعلم الإلهي
بالمكذبين توطئة
للوعد الصارم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 149.

(2) أبو حيان، البحر المحیط: 10/ 267.

علّة وصل قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ بما قبله:

وَصَلَ قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ بالجملة قبله، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ لما بينهما من التَّوسُّط بين الكمالَيْن؛ إذ الجملتان مَتَّحَتَانِ مَتَّحَتَانِ خَبَرًا، وبينهما تناسُبٌ لفظًا ومعنى، فأما في اللَّفْظِ فاشترَاكُهُمَا في الاسمِيَّةِ، وتصدير كلٍّ مِنْهُمَا بحرف التَّوكِيدِ (إِنَّ) ودخول اللَّامِ على خبرها، وأما في المعنى فما بينهما من بيان أثر القرآن على صِنْفَيْنِ متضادَّين، وهم المتَّقُونَ المؤمنون، والكافرون المكذَّبُونَ.

أَثَرُ الْقُرْآنِ
الكَرِيمِ؛ نَفْعًا
لِأَهْلِ الْإِيمَانِ
وَحَسَارَةً لِأَهْلِ
الْكُفْرَانِ

دلالة التَّوكِيدِ بـ (إِنَّ) واللَّامِ في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ﴾:

أَكَّدَ قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ بـ (إِنَّ) واللَّامِ واسمِيَّةِ الجملة؛ للقطْعِ والجزمِ بأنَّ القرآن الكريم الذي هو رحمةٌ للعباد؛ سيكونُ سببَ حَسْرَةٍ وَندَمٍ في قلوبِ أهلِ الكُفْرِ، فالقرآنُ الكريم هدايةٌ لِلْمُقْبِلِ عليه، وحسرةٌ على المُعْرِضِ عَنْهُ، كما قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الأنعام: 82].

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ
رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَحَسَارٌ وَحَسْرَةٌ
عَلَى الْكَافِرِينَ

سرٌّ تنكير لفظ (حسرة):

نَكَّرَ لفظُ (حسرة) في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾؛ لإِفَادَةِ التَّعْظِيمِ والتَّهْوِيلِ، فالقرآنُ الكريم سيكونُ حَسْرَةً عَظِيمَةً تَمَلُّ القلبَ لَا نُظِيرَ لها، وَلَا يُدْرِكُ كُنْهَهَا، على أهلِ الكُفْرِ المُعْرِضِينَ عَنْهُ.

عَظَمَةُ حَسْرَةِ
الكَافِرِينَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ

دلالة حرف الجرِّ ﴿عَلَى﴾:

﴿عَلَى﴾ في قول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ حرفُ جرٍّ دالٌّ على الاستعلاءِ، وهو استعلاءٌ مجازيٌّ؛ إذ صَوِّرَتِ الحسرةُ في صورةِ شيءٍ حَسِّيٍّ يعلو أهلَ الكُفْرِ، وَيُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

إِحَاطَةُ الْحَسْرَةِ
بِالْكَافِرِ وَغَمْرُهَا
لَهُمْ

غرض إقامة الاسم الظاهر ﴿الْكَافِرِينَ﴾ بدل الضمير:

الْكُفْرُ سَبَبُ
الْحَسْرَةِ الْأَبَدِيَّةِ،
والتَّكْذِيبُ
أَحَدُ مَظَاهِيرِهِ
لِلتَّوَجُّبَةِ
لِلْعَذَابِ

عُدِلَ عن الضمير في قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى
الْكَافِرِينَ﴾، وذلك بعد أن سبق في الآية قبل ﴿أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ﴾
إلى الاسم الظاهر ﴿الْكَافِرِينَ﴾، فلم يرد في النظم القرآني: (وَأَنَّهُ
لحسرة عليهم)؛ وذلك لتوسيع دائرة المعنى، فالحسرة هنا ليست
مقصورة على المكذبين الموجودين حال نزول الآية، بل هي شاملة لكل
مَنْ اتَّصَفَ بِالْكُفْرِ مِنَ الْأُمَمِ قاطبةً، مِمَّنْ سَبَقَ أَوْ لَحِقَ، فالتعبير بـ
﴿الْكَافِرِينَ﴾ يُظهر علّة الحسرة، وهي كفرهم، لا مجرد التكذيب
الظاهر؛ إذ الحسرة لا تكون على فَقْدِ شيءٍ يسير، بل على فواتِ
الحق الذي لم يَقْبَلُوهُ، وَلَمْ يَقْدِرُوهُ، فكان التعبير بهذا اللفظ أشدَّ
وقعًا وأحكم دلالة⁽¹⁾.

دلالة (أل) في ﴿الْكَافِرِينَ﴾:

عِظَمُ الْكُفْرِ
مَوْجِبٌ لِّكَمَالِ
الْحَسْرَةِ

(أل) في ﴿الْكَافِرِينَ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى
الْكَافِرِينَ﴾ دالة على العموم والاستغراق، فالقرآن الكريم حسرة
وندامة لكل مَنْ اتَّصَفَ بِصِفَةِ الْكُفْرِ.
وَيَحْتَمِلُ أَنْ تكون (أل) دالة على الكمال، أي: أَنَّ كَمَالَ الحسرة
يكون لِمَنْ كَمَلَ كُفْرُهُ، وَعِظَمَ.

موقع جملة: ﴿وَأَنَّهُ لَحَقَّ الْيَقِينُ﴾:

اليقين بالقرآن
هو النجاة،
والتكذيب به هو
الحسرة التي لا
تَنْقُضِي

قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَحَقَّ الْيَقِينُ﴾ معطوف على ما قبله من
قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، وهو عطفٌ يَتِمُّ الصَّوْرَةَ
البيانية؛ لما للقرآن الكريم من أثَرَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ، فهو رحمةٌ للمؤمنين،
وحسرةٌ على الكافرين، وبينَ الجملتين تَوَسُّطُ بين الكمالَيْنِ؛ إذ
الجملتان متحدثتان خبرًا، وبينهما تناسبٌ لفظًا ومعنى، فأما في

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 149/29.

اللفظ فاشتراكهما في الاسمية، وتصدير كل منهما بحرف التوكيد (إن) ودخول اللام على خبرها، وأما في المعنى فما بينهما من بيان أوصاف القرآن الكريم.

مزج الضمير في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾:

الضمير في ﴿وَإِنَّهُ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ يجوز أن يكون راجعاً إلى القرآن الكريم، والمعنى: أن هذا القرآن نفسه هو حق اليقين، أي: أعلى مراتب الحق، فهو صدق لا مرية فيه، ويقين لا يتطرق إليه وهم.

القرآن حق
لا ريب فيه،
وحسرتهم عليه
حق متيقن

ويجوز أن يكون الضمير عائداً على القرآن الكريم باعتباره حسرة على الكافرين، والمعنى: إن حسرتهم به ليست وهماً أو تهويلاً، بل هي حق يقيني سيتحقق لا محالة، ولا مفر لهم منه⁽¹⁾. ولا تنافي بين المعنيين؛ فالقرآن الكريم هو حق اليقين في نفسه، وكونه حسرة على الكافرين أمر محقق لا شك فيه ولا ريب.

دلالة التوكيد بـ (إن) واللام في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾:

أكد قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ بـ (إن) واللام واسمية الجملة؛ للقطع والجزم بأن القرآن الكريم حق في نفسه، بل في أعلى مراتب الحق، أو أن الجزم بكون القرآن حسرة على الكافرين حق لا ريب فيه ولا مرية.

بلادة التعبير بـ ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾:

جاء التعبير بـ ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾؛ ليلبغ القصْدُ غايته في التوكيد؛ إذ ليس هو مجرد يقين، بل هو حق اليقين، أي: اليقين الذي لا يتعلق به احتمال النقيض من أي جهة كانت، فهو تحقيق فوق التحقيق، لا تردد فيه، ولا يلحقه أدنى ريب.

القرآن الكريم
تجاوز اليقين إلى
حق اليقين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 150.

دلالة الإضافة في ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾:

القرآن الكريم
حق في ذاته،
وهو الثابت
الذي لا يعتريه
وهم

الإضافة في قوله: ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ من باب إضافة الموصوف إلى الصفة، أي أن اليقين هو الموصوف، والحق هو صفته، والأصل: (اليقين الحق)، أي الذي لا يخالطه شك، ولا يعتريه وهم، بل هو أعلى درجات العلم والقطع والوضوح⁽¹⁾.

ويَحْتَمِلُ أن تكون الإضافة في ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ ليست من إضافة الموصوف إلى الصفة، بل هي من إضافة الجنس إلى نوعه، على طريقة قولهم: خاتم فضة أو ثوب خز، فالحق أعم من اليقين؛ إذ يشمل أنواعاً متعددة من الثبوت والصدق، واليقين نوعٌ مخصوصٌ منه، فأضيف العام إلى الخاص؛ تنبيهاً على أن هذا النوع - أي اليقين - هو حق لا شبهة فيه.

ومنشأ الاحتمال في الإضافة: أن المضاف إليه قد يكون مغايراً للمضاف، ولا يصدقان على ذات واحدة، وقد يجانسُهُ، فيصدقان على مُسمًى واحدٍ، فمن اعتبر أن كلا اللفظين - الحق واليقين - قد يصدقان على ذات واحدة، كما في قولك: العين الحقّة، فهو من الإضافة بين الموصوف وصفته، ومن اعتبر أن الإضافة هنا تبين نوعاً من جنسٍ، لا صفة من موصوفٍ، فهو من إضافة الجنس إلى نوعه⁽²⁾.

وقد ذهب الكوفيون إلى أن الإضافة من إضافة الشيء إلى نفسه، قالوا: الأصل: الحق اليقين، ثم أُضيف المنعوت إلى نعتيه، أي: إن الحق هو اليقين بغيره، فجعلت الإضافة لمجرد التوكيد، والنعت هو المنعوت في المعنى، كقولك: نفس الإنسان⁽³⁾.

وهذا التنوع في التقدير البلاغي يُبرز أن العبارة القرآنية

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 150.

(2) ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن: 1 / 286.

(3) مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية: 12 / 7693، والشنقيطي، أضواء البيان: 7 / 537.

تستوعب أكثر من وجه، وجميعها يدل على مبالغة في توصيف اليقين بأنه الحق الخالص في ذاته، أو أنه أخص أنواعه، أو أنه هو عينه.

معنى الفاء في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾:

افتتح قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ بحرف الفاء دلالة على التفریع، فهو ثمرة لما سبق تقريره من حقائق كبرى، منها إثبات أن هذا القرآن الكريم تنزيل من رب العالمين، ومنها: تنزيه النبي ﷺ عن أن يكون شاعراً أو كاهناً أو متقولاً، ومنها: بيان حجية هذا القرآن الكريم، وعاقبة المكذبين به، فبعد أن تبين صدق هذا النور، ودحضت شبهاتهم؛ جاء الأمر بالتسبيح تعظيماً لله تعالى، وشكراً له على هذه النعمة العظيمة⁽¹⁾.

دلالة التعبير بالتسبيح في قوله: ﴿فَسَبِّحْ﴾:

(التسبيح) في أصله تنزيه عن النقائص، ويشمل أوجه متعددة: اعتقادية، وعملية، وقولية، ولما كان المقام مقام بيان وبلاغ وتسليم لما أنزل؛ كان التسبيح المطلوب هنا تسبيحاً لسانياً يصدق الاعتقاد، ويؤتج بالشكر والطاعة، ولهذا جاء التعبير بـ: ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾⁽²⁾.

بلاغة التعبير بـ (اسم ربك) دون (سبح ربك):

جاء التعبير بقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ دون (فسبح ربك) في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾؛ تنبيهاً إلى أن التسبيح القولی لا يتحقق إلا بذكر الاسم اللفظي لله تعالى، فلا يكفي فيه مجرد الاعتقاد القلبي أو المعنى الذهني، بل لا بد من أن يجري الاسم على اللسان، وهذا أدق في حراسة المقصود من التسبيح وإظهاره.

من نعم الله
تعالى إنزاله
القرآن وحفظ
نبيه ﷺ، فكان
التسبيح أعظم
الشكر وأجمل
الوفاء

التسبيح الجامع
للقول والاعتقاد
والعمل

لا يكمل تنزيه
الله تعالى حتى
يذكر اسمه
على اللسان،
ويُعظم بالقول
والاعتقاد
والعمل جميعاً

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 151.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 151.

التَّسْبِيحُ عِنْدَ
الْعَظِيمِ أَعْظَمُ
فِي الْأَثَرِ، وَأَجَلُ
فِي تَحْقِيقِ
الْوَاجِبِ

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ
وَحَدَّةٌ مُتَكَامِلَةٌ
مُتَنَاسِبَةٌ

دلالة وصف «الْعَظِيمِ» في هذا المقام:

وَصَفَّ الرَّبُّ بِـ«الْعَظِيمِ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ لَفَتْ إِلَى جَلَالِ الْمَنْزَرَةِ، وَشَدَّةِ افْتِقَارِ الْعِبَادِ إِلَيْهِ، وَعِظَمِ نِعَمِهِ الْمَوْجِبَةِ لِلتَّسْبِيحِ، وَالتَّسْبِيحِ عِنْدَ الْعَظِيمِ أَعْظَمُ فِي الْأَثَرِ، وَأَجَلُ فِي تَحْقِيقِ الْوَاجِبِ⁽¹⁾.

التَّنَاسُبُ بَيْنَ خَاتِمَةِ السُّورَةِ وَمُقْتَتَلِهَا:

ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَوَّلِ السُّورَةِ الْحَاقَّةِ، وَذَكَرَ طَرَفًا مِنْ عَقُوبَةِ الْمَكْذِبِينَ بِهَا فِي الدُّنْيَا، فَذَكَرَ ثُمُودَ وَعَادًا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كَذَّبَتْ ثُمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝ فَأَمَّا ثُمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ ۝ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ جَزَاءَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا وَالْمَكْذِبِينَ بِهَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا ۖ كِتَابِيَّةً﴾ الْآيَاتِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ۖ فَيَقُولُ يَلِيَّتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَّةً﴾ الْآيَاتِ.

ثُمَّ ذَكَرَ فِي خِتَامِ السُّورَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَكْذِبِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وَذَكَرَ أَنَّ عَاقِبَةَ الْمَكْذِبِينَ الْحَسْرَةَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، ثُمَّ أَمَرَ الْمُؤْمِنَ بِتَسْبِيحِ رَبِّهِ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يُجَازِي بِهِ عِبَادَهُ، فَقَالَ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾⁽²⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 385/20.

(2) فاضل السامرائي، التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم، ص: 79 - 80.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والستون،
سورة الملّك من الآية 12 إلى سورة المَعَارِج الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والستون، سورة الملّك من الآية 12 إلى سورة المَعَارِج الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.

مج. 63، 822 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك : 978-9948-647-00-3

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 63 : المجلد الثالث والستون، سورة الملّك من الآية 12 إلى سورة المَعَارِج الآية 14.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-00-3

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7111585 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"